مــــقــــد مــــة

بسم الـــلَّـــه الرحمن الرحيم

والحمد للَّه المستحقِّ لجميع المحامد ، والصلاة والسلام على إمام كُـلِّ شاكرٍ وحامد ، وعلى آله وصحبه وكل عابد ...

وبعد ،

ليس مـن كتـابٍ لا يُؤخَـذُ منـه ويُـردُّ عَلـيْـهِ .. إلاَّ كتـابَ اللَّــهِ تعالى وحديث رسوله صلَّى اللَّـهُ عليـه وسـلَّم....

وليس مـن كتـابٍ مـبرَّأ مـن الخطـأ والنُقْـصان ... إلاَّ كتـابَ اللَّـه تعالى وحديث رسوله صلَّى اللَّـهُ عليـه وسـلَّم ...

وليـس مـن فـرضٍ علينـا أن نـأخذ بكتـابٍ أو قـول قـائلٍ .... غير كتاب اللَّـه تعالى وقولِ رسوله صلَّى اللَّـهُ عليـه وسـلَّم ....

أمَّـا مـا سـواهما .. كتـابَ اللَّـهِ .. وحديـثَ رسـولهِ ... فيؤخــذ منه وَيُـرَدُّ ....

وكُلُّ مُجتَـهدٍ عَارفٍ بأصولِ الاجـتِهاد .. مُحِبٍّ للَّــهِ ولرسـولهِ ، خالصاً لوجه اللَّـهِ الكريم .. يجزيه اللَّـه خيرًا عن الإِسلام والمسلمين ....

وكتابنا هـذا يتحـدث عـن أنـوار الإحسان ... وهـى ثمـرة الالـتزام بشـريعة اللّـه تعـالى وسُـنَّـــة رسـوله ﷺ .. والسـيرِ والسـلوكِ والنـهجِ علـــى طريقتــه عليــه الصـلاة والسـلام .... فـهو الخلاصـة المرجُوَّة من الإسـلام والإيمـان.

والنــاسُ متفـاوتون فـــى تحصيلـــهم ... ومتفـــاوتون فـــى أرزاقــهم .. ومـا كـانت أرزاقـهم علـى قـدر مسـاعيهم ... فالمسـاعى علـى قدر طاقاتهم .. والأرزاق حسـب قسـمة الـرزَّاق جَـلَّ وعـلا ....

وحديثى إليـك فـى هـذا الكتـاب ، ليـس محشـواً بـالمنقول مـن أقـوال الصـالحين ومصطلحاتـهم ... ولكِنّـى خـاطبتك فيـه بـالمنطق المعتـاد ، والعقـل الفِطْرى السـليم ، مـع الاسـتدلال بآيـات كتاب اللّـهِ تعالى وحديـثِ رسـوله ﷺ مـا وَجَـدْتُ إلى ذلـك سـبيلا .. وذلـك حتـى لا تَمِيـلَ بالكتـاب وصاحبـه إلى طائفـةٍ مـن الطوائـف ، ولا طريقـةٍ مـن الطـرق .... فنحـن فـى البدايـة والنهايـةِ لا نقصِـدُ إلاَّ وجـــه اللّـــهِ تعـــالى ورضـــاه ، ومعرفـــة حَـــقِّ توحيـــدهِ وعبادتـــه قـدر مـا نسـتطيع ...

ومهما تحدَّثت الخلائِقُ كُـلُّهَا .. عـن عظمة اللّـه تعالى وصفاته وَنِعَمِهِ وأنواره ... فما عرفوه حقَّ معرفته ... ولا قدَّسوه حقَّ تقديسه ...

فإن رأيـتَ فـى كتابى هـذا غير ما تـرى لنفـس المسمَّياتِ فـى المصادِرِ الأُخرى ، فلا تعتبر هذا منكرا أو شـاذّاً .. ولكـنْ اجمعْ ما قرأت

هنا وما قرأت هناك – والجميعُ لا يصبح ذرَّةً فى عِلم اللَّـه تعالى – ثم خُذْ منه ما يناسبك وما يستريح له قلبك ....

والحديــث فيــه إيجــازٌ شــديدٌ .. وإشــاراتٌ دقيقــةٌ .. فــإذا أدركتـها فـهى خـير ، وإن لم تدركـها .. ، فخـذ مـا بـدا لـك منـه ودع ما سـواه ....

ويشتمل الكتابُ على أقسامٍ خمسةٍ كما يلى :-

تقديم هام : ذكَرْتُ فيه بعض التعريفات كالإيمانِ ودرجاتـه والولايـة العامّــة والخاصّــة ، والظــاهر والبــاطن ، والســير والســلوك إلى اللَّـه تعالى ....

الباب الأول : اشتمل علـى تعريف الإحسانِ لغةً وشرعًا ، والمقصودِ مـن النور ، والرؤية ، والحُجُبِ وما شابهها ...

الباب الثانى : وأوجزتُ فيه وصفًا مبسَّطًـا عن العوالم الظـاهرة والخفـيّة ، وهـى التــى تسبحُ فيـها الأرواحُ والأَنْــفُس ، كمـا تعرضنـا فيـه لمفهوم الروح والموت والبرزخ و غيرهما ....

الباب الثالث : هو فى الحقيقة يـدورُ كله حـول أنـوار رسـول اللَّـه ﷺ ، وحـول معنـى الرسالة والنبـوة .. والقرآن والحديـث .. وأهميـة نوره ﷺ فى الكون كله ... وحتى تقوم الساعة .

الباب الرابع : تعَرّضْنَا فيه لمفهوم الحضرات وأنواعها .. ، والفرق بين الحضرة والمُلْك .. ، وإلى مفهوم الحب الإلاهى ، وشعراء هذا الفن ...، وبعض رموزهم وإشاراتهم ...

وما نقلنا عن غيرنا فى كتابنا هذا رأيًا ولا نظريةً ... ولكنَّنا قد استعنَّا فى بعض الروايات بما رواه السابقون من وقائع موثَّقَةٍ لا غير ...

وبعد

ما قصدنا من كتابنا هذا إلا وجه اللَّهِ تعالى ، وأن يأتنس السائرُ السالك إليه سبحانه بما فيه ، فلا تختلط عليه الأمور ، ولا تلتبس عليه بعض الظواهر ، فيحارُ بين الوهمِ والخيال والجهل والغرور ....

وما أكثر المَفْتُون فى هذا المجال .. وما أشَدَّ خَطَرَ من لا يكون فهمه على علمٍ شرعىٍّ صحيح ...

ونحن لا نحصُرُ الحقائق فى مفاهيمنا التى عرضناها فقط ، فاللَّهُ تعالى واسِعٌ عليمٌ ، وما عَرفَ اللَّهَ تعالى إلاَّ اللَّه ، ولا يُحيطُون بشيئٍ مِن عِلمِهِ إلاَّ بِما شاء ، جَلَّ جَلالُ اللَّه .

ولا نقُولُ إلاَّ كما قَالَ ساداتنا الكِرام : " رأينا صوابٌ يحتمِلُ الخطأ ، ورأىُّ غيرنا خطأٌ يحتمِلُ الصواب "

وطُوبى لِمَنْ أهدى إلينا أخطاءنا ، قاصداً وجه اللَّهِ

تعالى ، وأعاننا على سُـلُوك الطريـقِ إليـهِ جَـلَّ شـأنُهُ .. ونحـن نسـتعيذ مـن كُـلِّ قـولٍ أو عمَـلٍ أو رأيٍ يخـالف شـريعة الله تعـالى وسُنَّــة رسوله ﷺ ، بِقصْدٍ أو بغيرِ قصـدٍ ، و نسـتغفِرُهُ ونتُـوبُ إليْـهِ ..

ونسـألُ الله تعـالى أن يجعلنـا نَحْـنُ وأعمالَنَـا وكُـلَّ حياتنـا و مماتنـا فـى سبيلِه تعـالى ، وأن يجعَلَنـا فـى كِتـابِ نبيِّـهِ ﷺ صـلاةً وتسليماً و بركـاتٍ ورحمـاتٍ ورضوانًـا ....

وأستغــفِرُ الله العــظـيمَ وأتــــوبُ إلـيْــــهِ ..

وأشهَدُ ألاَّ إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شرِيكَ له

وأنَّ مُحــمَّداً عبــدُهُ ونَـبيُّــهُ

ورسولُهُ والحمدُ لِلَّهِ

ربِّ العالمين.

صلاح الدين القوصى

القاهرة

رمضان ١٤١٨ هـ

ينــاير ١٩٩٨ م

تقـديــمُ هـــام

ذَكَرْنَـا فـى الجُـزْء الأول مـن هـذه السلسـلة ، وهـو " أركـان الإسـلام " أو " دليـل العبـادات " مُوجـزاً مبسَّـطاً لأهَـمِّ الأحكـام التـى يحتاجـها المسـلم لتحقيـق شـهادة التوحيـد بِشِـقَّيْها ، ثـم مـا يحتاجـه مـن شـروطٍ ، وأركـانٍ ، وواجبـاتٍ ، وَسُـنَنِ الأركـانِ الخمسـةِ للإسـلام لإقامـة الشـعائر ، وهـذا يعتـبر الكـمّ الأدنـى - لمعرفة المسلم - الذى تصحُّ بـه عبادتـه.

واشتمل الجُزْءُ الثانى وهـو " قواعـد الإيمـان " أو" تربيـة النَّفْس " على تحليلٍ عقلانىٍّ وروحىٍّ مُبَسَّطٍ ، يُنَاسِبُ العصر الحديث ، لقواعد الإيمان باللَّـه تعالى ، ومعنى كلمة التوحيـد ، والمقصود بأسماءِ اللَّـهِ وصفاتـه وتـجَلِّيَّـاته ، مع نظرةٍ عامةٍ على النَّـفْس والروح وقواهما الظاهرة والخَفِيَّـة ، وتبسيطٍ لمعنـى تربيـة النفس وتزكيتها والسمو بها ، وقد تعَرَّضْنَا فيه لبعض المعانى الدقيقة التى وردت فى القرآن الكريم ، وبعض أحاديث رسول اللَّـه ﷺ .

• السير والسلوك:

فـالجُزْء الأول هـو دليـلُ السـلوك وإقامـة شـعائر اللَّـهِ تعـالى مـن صـلاةٍ وصيـامٍ وزكـاةٍ وحـجٍّ ، وهـذه أحكـامٌ أوجزناهـا مـن المراجـع الفقهيـة ، وأعدنـا ترتيبـها وعرضـها ، بمـا ينـاسـب العصرالـذى نحن فيه ، دون تعليـقٍ ولا اجتـهادٍ منـا .

أما الجُـزْءُ الثانى وهـو دليلُ السيْرِ بالقلب والنفس إلى رضوان

اللَّه تعالى وأنواره ، فقد كان حَديثاً طويلاً بينى وبين القارئ ، خاطبته فيه بمنطقه وعقله هو ، فكان لِزامًا أن أحاور وأداور واستشهد وأقْدِم وأُحجِم معه ، حتى أعرض بضاعتى عليه ، وحتى أقنعه بما أعْرِضُهُ .

وفى الحقيقة لا غنى للمسلم عما جاء فى الجزئين ... الأول لتربيةِ ظاهره ، والثانى لتربيةِ باطنهِ الروحى .. ، واللَّهُ تعالى هو الظاهر والباطن .. ولابد أن تكون عبادةُ اللَّهِ بالظاهر والباطن ، فأحكامُ الصلاةِ من طهارةٍ وركوعٍ وسجودٍ لازمةٌ للمسلم .. وهذا هو الشِقُّ الظاهر .. والخشوع فى الصلاة ِلازمٌ أيضا ، وهذا هو الشِقُّ الباطن.

والامتناع عن الطعام والشراب ، وما ينقضُ الصيام ، لازم لأداء الصوم ... ، و هذا هو الشقُّ الظَاهر .. ، ومراقبة اللَّه تعالى فى صيامه ، وحسن الخُلُقِ ، والأدب مع اللَّهِ ، هو الشِقُّ الباطن ..

فباجتماع الظاهر مع الباطن تَتِمُّ عبوديَّةُ العبْدِ وعبادَتُهُ ، وهذه هى التجارة مع اللَّهِ تعالى ... سَيْرٌ .. وسُلُوكٌ ..

يقول تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِى أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

ويقول جَلَّ شأنه : ﴿ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

ويقول : ﴿ يَأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ

---

(١) سورة الزخرف آية: ٧٢. (٢) سورة الأحقاف آية : ١٤.

تُنجِيكُم مِـنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [1] .

و قول رسـول اللّـه ﷺ : " لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُم الجَـنَّةَ بِعَمَلِهِ .. قَالُوا وَلا أَنْـتَ يَا رَسُـولَ اللّـهِ ، قَـالَ وَلا أَنَـا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِـى اللّـهُ بِرَحْمَتِهِ" ، يَدُلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ دُخول الجَنَّة أصلاً لا يكون إلاَّ برحمةِ اللّـه تعالى .. فبدونها لا يكون للعَبْد نصيب ... حتى أعماله لا تُجْدِى .. فإن العمل من العبد يلزمه الإخلاصُ ، ثم الإتمامُ ، والكمالُ .. ثم التزكِيَةُ من اللّـه تعالى .. فيُطَهِّرُهُ جَلَّ شأنه ، ثم يُزَكِّيه ، ثم يقبَلُهُ ، ثم يُنَمِّيه ، ثم يجعله شافعًا لصاحِبِهِ ، وكُلُّ هـذا بفضلِ اللّـهِ تعالى ورحمته ، فيدْخُلُ العبدُ الجَنَّةَ برحمة اللّـه تعالى وفضله ، ثم تتفاوتُ درجَاتُهُ فى الجنة على قدر عَمَلِهِ ، وما زكَّاهُ اللّـه مِنْهُ وقبِلَه وَنمَّاهُ لَهُ ، فافهم يا أخى هذا المعنى الدقيق .

ورغم أن هذا المكان ليس مكان الاستطراد والإفاضة ، إلا أنَّنا نحب أن نشير إلى نقطتين :

الأولى :

من رحمة اللّـه تعالى بالعبد أنْ يُحَبِّبَ إِلَيْهِ الإِيمان ، وأنْ يزيِّنه فى قلبه ، وأنْ يُوَفِّقَهُ للأعمالِ الصالِحَةِ ، يقول اللّـه تعالى:

﴿ وَلَكِنَّ اللّـه حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّـنَهُ فِى قُـلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَ الفُسُوقَ والعِصْيَانَ أُولَـئِكَ هُمُ الرَّاشِدونَ ، فَضْلاً مِنَ اللّـهِ

---

(١) سورة الصف آية : ١٠.

وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [1]

ويقول تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ [2].

فمن الواضح أنَّ فضل اللَّه تعالى ونعمته سابقةٌ إلى العبد ، بشرح صدره للإسلام والإيمان وتوفيقه للعمل الصالح على قدر استطاعته ، حيث يقول تعالى : ﴿ فَاتَّقُواْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنْفِقُواْ خَيْرًا لأَنْفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ [3] ...

ثم يأتى بعد ذلك دور العاملِ .. وكُلٌّ يعملُ على شاكِلَته .. على قدر يقينه ، وعلى قدر علمه ، وعلى قدر طاقته ، وعلى قدر إخلاصِه ، وعلى قدر حُبِّه للَّهِ تعالى .. فعمل المؤمن غير عمل التقىِّ ، غير عمل الورع ، غير عمل البارِّ ، غير عمل المُقَرَّب ، غير عمل الصدِّيق .. غير عمل النبىِّ ..، وقد يكون العمل فى مظهره واحداً ، ولكنه يتفاوت فى وزنه عند اللَّه تعالى.

يقول تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِى الأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [4] .. والعبرة هنا بالكيفيَّة ، ولم يقل ماذا تعملون ولكن "كيف" والكيفية تحوى الإتقان ، والإخلاص ، والخشية ، والمحبّة ، وكثيراً من أعمال القلب فى هذا العمل.

---

(١) سورة الحجرات آية : ٧، ٨ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٢٥.

(٣) سورة التغابن آية : ١٦.

(٤) سورة يونس آية : ١٤.

انظر إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [1] ، ويقول جَلَّ شَأْنُه : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [2] ويقول : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [3]

فهناك تفاوتٌ بين الخَلْق فى خشيتهم من اللَّه تعالى ، وفى حبهم له جَلَّ شأنه ، وفى العلم به ... وهكذا .

ثم بعدَ كُلِّ هذا وذاك يقول سبحانه : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [4] ، أى أنَّ كل عِلْمِهِم ومعرفتهم وعملهم وخشيتهم ، إنَّمَا هى على قدر أقدارهم هم أنفسهم ، وعلى قدر طاقاتهم الإيمانِيّة باللَّه تعالى .. ولكن الإطلاق هو أنّهم جميعاً ما قَدَرُوا اللَّه حقَّ قدره ، ولا عبدوه حَقَّ عبادته ، ولا ذكروه حَقَّ ذِكره ...

انظر إلى قوله ﷺ " سُبْحَانَكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ " .. فما عرف اللَّهَ تعالى إلا اللَّه ، وما قَدَّسَ اللَّهَ حقَّ تقدِيسِه سواه هو تعالى ..

وبعد أن يَتِمَّ عمل العامل على قدره .. يتفضَّلُ اللَّه تعالى على من أراد من عباده ، فَيُنَقِّى هذا العمل من الشوائب التى فيه ، يقول تعالى: ﴿ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾ [5]

---

(١) سورة فاطر آية : ٢٨ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٦٥.
(٣) سورة المائدة آية : ٥٤ .
(٤) سورة الأنعام آية : ٩١.
(٥) سورة النساء آية: ٤٩.

ويقولُ جَلَّ شأنه : ﴿ أُوْلَئِكَ الذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَـاتِهِمْ ﴾ [١] ،

ثم يقبله تعالى عنده ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّـهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [٢] ، ثم ينمِّيه له ، يقول تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [٣] ، فمرةً يُؤتى الأجرُ لصاحبه مضاعفاً ، ومرة بعشرِ أمثاله ، ومرة بسبعمائة ضعفٍ ، ومرة يضاعِفهُ اللَّهُ تعالى لصاحبه كما يشاء سبحانه ، كما ذكر جَلَّ شأنه فى كتابه العزيز .... .

ألا ترى إلى الرجُل الذى سقى الكلْبَ ماءً فشكر اللَّه تعالى له وَغَفَرَ لَهُ وأدخله الجَنَّة ، وماذا يساوى هذا الفعل القليل من العبد بالنسبة لحياته وأعماله الأخرى ، وبالنسبة لذنوبه وتقصيره مع اللَّه تعالى !! .... فلوْلا أنّه تعالى قد قَبِلَ منه هذا الفِعل الصغير القليل ، ثم زكَّاهُ وطَهَّره وَنَمَّاه وربَّاه عنده حتى ازداد وزنه عن كل الذنوب ، فاستَحَقَّ بِهِ الجنَّة فى ميزان اللَّه تعالى ، لَمَا دخلَ الجَنَّة بهذا العمل .

وهذا كله بفضل اللَّه تعالى ورحمته .

فلا تناقض مطلقًا بين قولِ اللَّه تعالى أن دخول الجنة والتمتع بدرجاتها يكون بالأعمالِ وعلى قدْرها ، وبين قولِ رسوله ﷺ أن دخولَ الجنَّة إنَّما هو بفضلِ اللَّه تعالى ورحمته .

---

(١) سورة الأحقاف آية : ١٦.
(٢) سورة المائدة آية : ٢٧.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٧٦.

وإيجازاً لما جاء فى هذه النقطة نقول أنَّـهُ إن لم يسبق فضلُ اللَّه ورحمته إلى العبد فلن يعمل أصلاً الأعمال الصالحة .. وحتى لو فعلها فلا تُزَكّى وتُطَهَّر وتقبل وتنمَّى بغير فضل اللَّه تعالى ورحمته ... فالفضل كله للَّه تعالى أولاً وأخيراً ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ (1).

الثانية :

يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ، إلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (2)،

ويقول تعالى : ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ (3)،
ويقول : ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ (4)،
ويقول : ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ التِى فِى الصُّدُور ﴾ (5)،
ويقول : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَه مِنْهُ ﴾ (6)
ويقول : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِن بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ (7).

إذاً .. فهناك قلبٌ سليمٌ ، وقلبٌ مريضٌ ، وقلبٌ به زَيْغٌ ، وقلبٌ به

---

(1) سورة النور آية : ٢١.
(2) سورة الشعراء آية : ٨٨ ، ٨٩
(3) سورة البقرة آية : ١٠.
(4) سورة الأحزاب آية : ٣٢ .
(5) سورة الحج آية : ٤٦.
(6) سورة آل عمران آية : ٧.
(7) سورة البقرة آية : ٧٤.

قسوةٌ ....، واللَّه سبحانه وتعالى يريد منا القلب السليم النقِىَّ الطَّاهر .. المُطَهَّر من أمراض القسوة والنفاق والرياء وكل الأمراض الأخرى.

وهذا أمر باطنى .. فعِلْمُ القلوب عند رَبِّى ... ولذلك قال تعالى ﴿ فَلا تُزَكُّواْ أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ (١) .

وماذا يكون فى القلوب غير التوحيد ، والإخلاص ، والتقوى ، والورع ، والخشية ، والهيبة ، والمحبة ، والشكر ، والتَوَكُّلِ ، والرضا ، والتسليم وصدق النيات !!! ، وكلها وكذلك أضدادها ، إنما هى أمور باطنية فى القلوب .. وهى التربة الحقيقية التى تزرع فيها أعمال العباد ، فإن كانت التربة صالحة زكيَّة ترعرعت فيها هذه الأعمال وَنمَت وبورك فيها ، وإن كانت غير صالحة رُدَّت على صاحبها ، ولُطِمَ بها وجهه والعياذ باللَّه ، ولم يُكْتَبْ لصاحبها أىُّ عمل منها ، كما يقول تعالى : ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَئٍ مِمَّا كَسَبُواْ ﴾ (٢) ... فإنَّ أعمالهم ضاعت ، وأضحت هباءً منثوراً ..

فسير القلوب إلى اللَّه تعالى ، وطهارتها وسلامتها هو الأساس فى عبادة اللَّه تعالى ، ورضا اللَّه عن عبده ، وهذا ما يسمى بالسيْرِ إلى اللَّه تعالى .. بينما تسمى الأفعالُ بالسلوك إلى اللَّه تعالى ، وبالسلوك والسير يَتِمُّ للعبد عبادته للَّه جَلَّ شأنه ، فاللَّه هو الظاهر والباطن ، فحضرات اللَّه الظَّاهرةُ فيها مظهر العبودية من العبد بالأفعال والعبادات ،

---

(١) سورة النجم آية : ٣٢ .   (٢) سورة البقرة آية : ٢٦٤ .

وحضرات اللَّه تعالى الباطنة فيها سِرُّ العبودية من العبد بأعمال القلب.

وأعمالُ القلوب هذه لا توضع فى ميزان عند اللَّـه تعالى ، لأنها أكبر وأعظم من الميزان ، إنَّمَا الميزان للأعمال ، وما فى القلوب إلاَّ عظمة اللَّـه تعالى وتوحيده وتقديسه ، وكيف توزن هـذه العظمـة . !! ولكن يكون أجر أعمال القلوب الهِبَاتُ من اللَّه تعالى والعطايا منه لعبده من واسعِ فضْلِهِ وعظيم رحمته .

وبهذا التقديم المبسَّط تجد أن العابِدِينَ للَّـه تعالى ينقسمون إلى صِنْفَيْن :

الأول :

صِنْفُ وفَّقه اللَّـه تعالى للتجارة معه جَلَّ شأنه ، وغلـب عليـه السلوك والأعمال وأفعال السير الظاهرة .

الثانى :

صِنْفُ وفَّقه اللَّه تعالى للتجارة معه جَلَّ شأنه ، وغلب عليه السير والقرب من اللَّه بالأعمال الباطنية.

ولكن إعلم أن الصنف الأول لا بُـدَّ أن يكـون لـه نصيـب مـن أعمال القلوب ، كما أن الصنف الثانى لا بُدَّ وأن يكون له نصيب من أعمال الجـوارح الشرعية .. ولكن مقصودنا من هذا التصنيف أنّ قوما غلب عليهم الظاهر ، وقوما غلب عليهم الباطن ، والصِنْفَانِ مجذوبان إلى اللَّه تعالى ، ولكن لكل منهما قدراته التى تناسب روحه وجسده..

يقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّـهَ قِيَامًا وَقُعُـودًا وَعَلَـى

جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[1] ، فجعل اللَّه تعالى الانشغال بالتفَكُّر فى ملكوت السماوات والأرض أعلى درجات العبادة ، وهى المرحلة الأعلى ، بعد أن يكون العبد قد استغرقه ذكر اللَّه تعالى فى جميع أحواله ، من قيام وقعود ، بل ونوم ويقظة ، وإعمالُ الفكر يكون بالقلب والسكون ، وهى أعمال باطنية ..

ولكن لاحظ أن السلوك إلى اللَّه تعالى ينقطع بموت العبد .. لأن الميت انقطع سعيُه ، وانقطعت أعماله بموته ، فَيُحْشَرُ المرء على ما مات عليه كما قال ﷺ فيما رواه مسلم وابن ماجة عن "جابر" : " يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ " حديث صحيح.

وكما قال عليه الصلاة والسلام " إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثلاثٍ : صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ ولدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ " كما رواه البخارى ومسلم والترمذى عن " أبى هريرة " ، ولاحظ أنّ ما ذكره الرسول ﷺ هو كله من أعمال العبد فى حياته ، ولكن يظلُّ الميِّتُ يحصُدُ ثوابها ، طالما أن لها نفع للناس فى الدنيا ، فبقاء أثرها فى الدنيا يفيد الميت ، لأن هذا الأثر نتيجة لأعماله .. أما عمله بجوارحه فقد انقطع بموته ...

أمَّا سَيْرُ القلوب إلى اللَّه ، والأعمَالِ الباطنية التى ذكرناها ، فإنها من أفعال القلوب والأرواح .. والأرواح لا تفنى بالموت .. بل تظل على

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٩١.

ما هى عليه .. وأعمالها مستمرة ... ويكون ما انشغلت به فى الدنيا هو نفسه ما تنشغل به فى الآخرة ... فإذا أَحَبَّ العبْدُ رَبَّه بقلبه وروحه قبل الموت ، فبعد الموت حُبُّه أشدّ .. وقربه أعظم ، ... فقد انقشعَ حجابُ المادَّة ، وتخلَّص من قيودها .. وانطلق إلى اللَّه تعالى ، حيث يزيده اللَّه من فضله ، لا فارق بين موته وحياته ... بل إِنَّهُ بِمَوْتِهِ يُصْبِحُ أكثرَ انطلاقاً وصفاءً ...

ويضرب اللَّه تعالى لذلك مثلا بالشهداء ... فإنهم أحياءٌ عند ربهم يرزقون .. ورزقهم فى الآخرة ليس من رزق أهل الدنيا .. فهو ليس الطعام والشراب .. ولكنها درجات وأنوار و تجَلِّيَّات لا يعلمها إلا اللَّه تعالى ..

وهذا الثواب العظيم لا يخطر على بالك أنه نتيجة لأفعالهم .. فقد لا يكون لهم فعلٌ يُذْكَرُ ، فقد يذهب للحرب ، وقبل أن يرفع سيفه يكون قد قُتِل ... ولم يقل جَلَّ شأنه أنَّ مَنْ قَتَلَ عشرة ، أو مَنْ قَتَلَ مائة من الكفار يكون له ثواب الشهادة .. ولكنَّهُ حَدَّدَها بِرَجُلٍ أَحَبّ اللَّه تعالى ، وأَحَبَّ نَصْرهُ ، ونَصْرَ حزبه ، ونَصْرَ كلمته ، فهانت عليه الدنيا ، وتعلق باللَّه تعالى ، وباع نفسه له ، فذهب مع المجاهدين قاصداً وجه اللَّه ... فَقُتِلَ فى سبيل اللَّه ، وهو على هذه النِّيَّةِ ، حتى وإن لم يرفع سيفه أو يقتل كافراً ..

فالجزاء على ما فى القلب من صِدْق النيَّة فى حبِّ اللَّه ، وتعظيمه ، والغيرة على دينه ، والحرص على نُصْرَةِ كلمته ،

والزهد فى كل ما سوى اللّـه .... وهذا كله من أعمال القلوب ....

فإن عاد من هذه الحرب فهو من المجاهدين ، وله أجره العظيم عند اللّـه تعالى بلا شك ، على قدر ما أبلى وقَدَّم ...

فإن قُتِل ، وسالت نفسه ، وأريق دمـه ، وهـو علـى هـذه النِـيَّة العظيمة ، فقد حَسُنَ خِتامُـه ، وفاز بِحُسْنِ الخاتمة ، فهو مـن الشـهداء المذكورين .. والقتلُ عملٌ سلبى وليس بإيجابى ، فهو لم يقتل نفسه .. بل قتله الكفار ، ففاز بالشهادة ، ثمنا لدمه ونفسه وحسن ختامـه فـى سبيل اللّـه ، فتنبه للفارق بين الحالتين .

وهذان الصنفـان مـن العباد : أهلُ الظاهر ، وأهل الباطن إذا جازت لنا هذه المُسَمَّيَات يدورون فـى عبادتهم وصِلَتِهِمْ باللّـه تعـالى حول محورين أساسيين ...

الأول هو صدق الإيمان باللّـه تعالى ..

والثانى الصدق فى معاملة اللّـه تعالى ...

صدق فـى الإيمان ، وصدق فـى النـيَّـةِ ، وصـدقٌ فـى العمـل ظاهراً باطناً ، وصدق فى معاملة اللّـه تعالى ...

فإنْ صَدَقَ العبدُ بتوفيق اللّـه تعالى فى مجـاهدة نفسـه وفـى الإقبال على فعل الخيرات وترك المنكرات ، ينقله اللّـه تعالى من درجة الإيمان العامِّ إلى درجة الإيمان الخاصِّ ... يقـولُ ﷺ " إنَّ الصِّـدْقَ يَهْدِى إلى البِـرِّ وإنَّ البِرَّ يَهْدِى إلى الجَنَّةِ و إنَّ الرَّجَـلَ لَيَصْدُقُ حَتَى يُكْتَبَ عِنْدَ اللّـه صِدِّيقًا " حديـثٌ صحيحٌ ، رواه البخارى ومسلم عـن

" ابـن مسـعود " ، وانظـر إلى خِطَـاب اللَّــه تعـالى حيـث يقـول : ﴿ وَتُوبُواْ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّـهَا المُؤْمِنُونَ ﴾[1] وقوله جَلَّ شأنه : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُواْ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّـهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ ﴾[2] وقوله : ﴿ وَاتَّقُواْ اللَّـهَ الَّذِى أَنْتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾[3].

فاللَّـهُ سبحانه وتعالى يـؤدِّب المؤمنين بمزيد من الأدب معـه ، بالخشوع والتقوى والتوبـة وغيرها ، لينقلهم من الدرجة العامة للإيمان إلى الدرجات الخاصة منه ...

فالإيمان درجات ... ومنه العامُّ .. ومنه الخاصُّ .. ويليه التقوى .. ويلي التقوى الإحسان ، حيث يدخل فى مقام الأبرار ، ثم يكون فى مقام المُقَرَّبِين.

يقول تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ اللَّـهَ الذِى أنتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾[4].

ويقول : ﴿ يَا أَيُّـهَا الَّذِينَ آمَنُوا إن تَتَّقُوا اللَّـهَ يَجْعَل لَّكُم فُرْقَانًا ﴾[5] .

ويقول : ﴿ إذَا مَا اتَّقَوا وآمَنُوا وعَمِلوا الصالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وآمَنُوا ، ثُمَّ اتَّقَوا وَأحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾[6].

ويقول : ﴿ كَلاَّ إنَّ كِتَابَ الأبْرَارِ لَفِى عِلِّيينَ ﴾[7] .

---

(١) سورة النور آية : ٣١ .
(٢) سورة الحديد آية : ١٦
(٣) سورة المائدة آية : ٨٨ .
(٤) سورة المائدة آية : ٨٨ .
(٥) سورة الأنفال آية : ٢٩ .
(٦) سورة المائدة آية : ٩٣.
(٧) سورة المطففين آية : ١٨.

ويقول : ﴿ والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ ﴾ [1].

ويقول ﷺ : " لا يَبْلُغُ العَبْدُ أنْ يَكُونَ مِنَ المُتَّقِينَ حَتَى يَدَعَ مَا لا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ " رواه التِّرْمِذِى وابن ماجة والحاكم ، وهو صحيح.

فهذه كلها درجات من درجات الإيمان والإحسان ، ولكل درجة منها أدب مع اللَّه تعالى وسلوك وسير يناسب هذا المقام .

• الصَادِقُون والصِدِّيقُون:

يقول تعالى ﴿ والَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّه لَمَعَ المُحْسِنِينَ ﴾ [2] .

فأهل الجهاد مع النفس فى اللَّه تعالى يرفعهم ربهم بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ من درجة إلى درجة ، ويزيدهم من فضله جَلَّ شأنه ، بل إن هناك درجة أعلى وأعزُّ وأكرمُ عند اللَّه تعالى .. حيث يقول تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ والصِدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ والصَالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [3].

وهناك فارق بين الصادقين والصِدِّيقين، فدرجة " الصِدِّيقية " تلى النبوة مباشرة ... وهم صفوة عباد اللَّه تعالى

---

(١) سورة الواقعة آية : ١٠-١١.   (٢) سورة العنكبوت آية : ٦٩.

(٣) سورة النساء آية : ٦٩.

دون النبـوة والرسـالة مباشـرة.

ويقول تعالى : ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [1] .

وظاهر معنى الآية يدلُّ علـى أن هنـاك نوعين مـن المقربين إلى اللَّه تعالى ...

الأول : أهل الاختيار .. وهـذا اختيار من اللَّـه تعالى واصطفاء منه جَلَّ شأنه لعبده ، فاللَّـه تعالى يخْلُقُ ما يشاءُ ، ويختار ما يشـاء ، ويفعل ما يشاء بقدرته وعزَّته وعظمته ، ولا حول للعبد فى هذا ولا قوة ولا فضل ، ألم يقل جَلَّ شأنه : ﴿ يُؤْتِى الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ، وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [2] .

والثانى : أهل الإنابة .. وهم أهـل المجاهدة مع النّفْس وأهل التوبة وأهل التخليط بين الأعمال الصالحة وغيرها.

فـالنوع الأول : محبُـوبٌ عنـد اللَّـه ، موكـولٌ إلى اللَّـه تعالى ، يتـولاه بعنايتـه ورعايتـه ولا دخـل للعبـد فـى شئ مـن هـذا ، بـل خلقـه اللَّـه ، واختـاره وأدَّبـه وعلَّمـه واصْطفـاه وأوصلـه الى ماكتبه اللَّـه لـه فـى علمه القديـم .

والنوع الثانى : مُحِبٌّ للَّـه تعالى يُجَاهِدُ الهوى والنفس ويعلـو ويهبط ، ويتوب ويرجع ، ويتقدم ويتأخر ، حتى ينتقل من مقام إلى مقام ،

---

(١) سورة الشورى آية : ١٣.　　(٢) سورة البقرة آية : ٢٦٩.

وحتى يصل إلى ما كتبه اللَّه له فى علمه القديم .

والفضل للَّهِ تعالى على الجميع ، ولكن فرق بين الطالب والمطلوب ، وفرق بين المُحِبِّ وسعيّهِ للمحبوب ، وبين المَحْبُوبِ ورعاية المُحِبِّ له .....

فالنفس والهوى والشيطان لايتركان السبيل إلى اللَّه ممهدا أمام العباد ، فهناك زلَّات وسَقَطَات ومشاقٌّ وفتن كثيرة ، مع محن وابتلاءات ، يُختبر بها هذا السالِكُ إلى اللَّه تعالى .. فإنَّ اللَّهَ العزيز العظيم ذو الجَلال والإكرام لابد وأن تكون طريق معرفته ، والتقرُّب منه جَلَّ شأنه فيها الخطر العظيم والمشاقُّ الصعاب ، حتى يفوز العبد فى النهاية بأعلى مطلوب وأغلى محبوب .. فإن كان مطلوبك ومقصودك هو اللَّهُ تعالى ، فالأمر جَلَلٌ وخطرٌ ، بل ولابد من وجود دليل لك ، سَلَكَ قبلك هذا الطريق ليدُلَّك على أسراره وعقباته ، وكما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ . الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾ (١) .

فمن قصدَ وجه اللَّهِ تعالى وأحبَّهُ واشتاق إليهِ ، فهذا أمره غير أمر الذى يتاجر مع اللَّهِ تعالى ويرجو الثواب ويخشى العقاب ... فالمحبُّ للَّهِ تعالى حريصٌ على إرضائه ، مكتفٍ بحبِّه ، مؤتنس بوحدانِيَّتِه ، غريبٌ عن الخلق والأكوان .. لايريد الدنيا ولايريد الآخرة ، لأن الاثنتين من طلبات النفس

---

(١) سورة الفرقان آية : ٥٩.

ورجائها فى النعيم لها ، إمَّا فى الدنيا وإمَّا فى الآخرة ، فهو فى الحالتين يعتمدُ على عمله ، لِكَسْبِ نفسه سعادةً بالحياة الطيبة فى الدنيا أو بالسعادة بالجنة وما فيها من نعيم .. وهذا وإن كان أمره طيِّبًا ومطلوبًا ، إلاَّ أن الثانى القاصد وجه اللَّه تعالى ، المُحِبِّ له ، لا يرتضى عن اللَّه تعالى بديلا ، لا بدنيا ولا بآخرة .. فقصده وجه اللَّه لا غير ، وغير مشغولٍ بثوابٍ أو عقابٍ .. بل مقصوده أعزُّ من ذلك وأغلى...

يقول تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (١)

ويقول : ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (٢).

فهؤلاء صفوة العباد للَّه تعالى .. قوم يحبون اللَّه تعالى ويحبهم اللَّه تعالى ، هم خالصون له ، لا تشغلهم الدنيا ولا الآخرة .

روى الديْلَمِيُّ فى مسند الفردوس عن إبن عبَّاس رضى اللَّه عنهما قول رسول اللَّه ﷺ "الدُّنْيَا حَرَامٌ عَلَى أَهْلِ الآخِرَةِ ، والآخِرَةُ حَرَامٌ عَلَى أَهلِ الدُّنْيَا ، و الدُّنْيَا والآخِرَةُ حَرَامٌ عَلَى أهلِ اللَّه " حديث حسن.

وهؤلاء الصفوة لهم سير إلى اللَّه تعالى خاص بهم.

---

(١) سورة الكهف آية: ٢٨.

(٢) سورة الأنعام آية: ٥٢.

ذلك أن هناك عالِمُ باللَّـه تعالى .. و هناك عالِمُ بأوامرِ اللَّـه تعالى ، فالعالم بأوامر اللَّـهِ هُو الذى أحكم العِلم بالحلال والحرام ، والأوامر والنواهى... فهذا إذا عَبَدَ اللَّـهَ تعالى وأناب وجاهد نفسه ، صار ولياً لأوامر اللَّـه تعالى ، فهو ولىٌّ حقوق اللَّـه تعالى ، وهى درجة من درجات الولاية .

أما العالِمُ باللَّـه جَلَّ وعلا فذاك عالِم بأسمائه وصفاته وتجَلِّيَّاتِه .. فعاش فيها ، وانشغل باطنه بها ، واشتعلت روحه بنور المحبَّة للَّـه تعالى .. فإن أخلص واستقام كان وليًّا للَّـه تعالى ، وهى الدرجة الأعلى من الولاية لِحَقِّ ا للَّـهِ جَلَّ شأنه ....

وأصل الولاية .. هو ولاية اللَّـه تعالى لِكُلِّ المؤمنين : ﴿ اللَّـهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور ﴾ (١).

ويقول : ﴿ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الغَافِرِينَ ﴾ (٢). وهذه هى الولاية العامة من اللَّـه لكل المؤمنين .

ويقول تعالى : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّـهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الذِّينَ آمنُواْ وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ البُشْرَى فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ ﴾ (٣).

فاللَّـه تعالى هو الولىُّ ، يتولى العبد بالرِّعاية والحِفظ والهداية ،

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٧ . (٢) سورة الأعراف آية : ١٥٥.

(٣) سورة يونس آية : ٦٢-٦٤.

والعبد كذلك يُطْلَقُ عليْهِ الولىُّ إذا وَلِىَ اللَّه تعالى بالعِبَادة والطاعة والمحبة بصدق الالتجاء إليه ، فهى صفةٌ من صفات اللَّهِ تعالى مضافة للعبد .. وفيها العموم وكذلك فيها الخصوص .

فإذا وَلِىَ اللَّهُ سبحانه عبداً بالهداية والرشاد ، وَوَلِىَ العبدُ ربَّه بطاعته والمحبَّة وصِدق العبودِيَّة ، ألا تَرَى أنَّهُ فى هذه الحالة لابد وأن تنشأ علاقة خاصة بين العبد وربِّه ، أو بين الحبيب وحبيبه ، لها آدابٌ خاصة ، ولها مذاقٌ خاص ، ولها مظاهر خاصة ، تناسب هذا المقام السامى .!!

وهل تكفيك أَيُّهَا القارئ الكريم هذه المقدمة الطويلة لتقف على أعتاب معنى حديث رسول اللَّه ﷺ عندما سأله سيدنا جبريل عن الإحسان فقال ﷺ : " أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ".

وهل وقفت على أبواب معنى قول الصحابى الجَليل " حارثة " أو " حذيفة " (على روايتين) عندما سأله رسول اللَّه ﷺ : " كَيْفَ أصْبَحَت ؟ .. " فقالَ الصَّحَابِىُّ " أصْبَحْتُ بِاللَّه مُؤْمِنًا .. " فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ " لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةٌ .. فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ .. " فقال رضى اللَّه عنْهُ : " عَزَفَتْ نَفْسِى عَنْ الدُّنْيَا ، فَاسْتَوى عِنْدِى حَجَرُها وَمَدَرُهَا (أىْ تُرَابُهَا وذَهَبُهَا) ، وَلَوْ كُشِفَ الغِطَاءُ مَا ازدَدْتُ يَقِينًا ، وَكَأَنِّى أرَى عَرْشَ الرَّحْمَنِ بَارِزًا ، وَكَأَنِّى أَرَى أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ ، وَكَأَنِّى

أَسْمَعُ أَهْلَ النَّار يَتَعَـاوونَ فِيـهَا " ... !!

أرأيت كيف كُشِفَ حِجَابُ المادّة عن الصحابيِّ الجَليل وعاش مع ربِّه ، وأنوار ربِّه ، وتجَلِّـيَّات ربِّه ، وهـو يحدِّثُ رسول اللّـه ﷺ بما يشعر به ويعيش فيه ... !! وهل فهمتَ قول رسول اللّه ﷺ عندما سَمِعَ مقالته فقال له " عرفت فالزم .. عرفت فالزم " ..... !!

والصادقون بمراحلهم ودرجاتهم .. والصِدِّيقون بمرْتَبَـتِهِم العليَّة والمقرَّبون بمفَازتِهِم العظيمة .... كل هؤلاء هُم أَهْلُ الإِحسان .

جعلنا اللّه تعالى منهم بفضله وكرمه وإحسانه ، وثبَّتَ أقدامنا ، وأتمَّ نعمته علينا ، وله الحمد فى الأولى والآخرة .

مقدمة طويلة اعتذر عنها .....

ولنا فى فصول الكتاب التالية تفسير أوضح بتوفيق اللّه تعالى .

وصلِّ اللّـهم وسـلِّم وبـارك علـى إمـام أهـل الإحسـان ، وسـيد المقرَّبين وخير المحبِّينَ المحبوبين ، وعلى آله وصحبه ونحـن معـهم أجمعين .